

تعليم المرأة المغربية من الوجهة الدينية

ذ.ادريس الكتاني

يقترن تعليم المرأة المغربية كما أثير بذكر السفور ويقترن السفور دائما بذكر التبرج ، فتعليم المرأة مدعاة إلى سفورها ، وسفورها مدعاة إلى تبرجها وتبرجها حرام ، وما كان سببا في الحرام حرام ، فتنتقل عدوى الحرمة إلى السفور ثم إلى تعليم المرأة ، الذي هو السبب الأصيل في السفور والتبرج والاختلاط بالرجال.

هذا هو منطق الرجعيين والمتزمتين وهو منطق الوعاظ الذين يتملقون جهود العمة من الناس ، فيسايرون هذا المنطق العقيم ، لأنه أقرب إلى فهمهم وإيمانهم . وبدلا من أن يحاولوا رفع تفكيرهم إلى مستوى أحسن ينحطون هم بتفكيرهم إلى الحضيض.

وعندي أن قضية المرأة لم تعد قابلة للجدل أو النظر من الوجهة الدينية الصرفة نفسها ، ذلك أن الإسلام قد تعرض في عصوره الأخيرة لامتحانات قاسية شديدة لا يزال يعاني أهوالها حتى اليوم ، لا في المغربوحسب بل في أكثر أقطار العالم الاسلامي ، ولم يكن ضعف الاسلام ناتجا عن خلل في بعض تعاليمه ، إنما الضعف الحقيقي ضعف المتمسكين به من المسلمين ، هؤلاء الذين جهلوا روح الاسلام وتعاليمه المثلى فتأخروا عن ركب الحضارة وساروا خلف عجلتها .

إن المسلمين اليوم يواجهون قوات استعمارية عظيمة في جميع أقطارهم لم تكن خطرا جاثما على حياتهم الاقتصادية فقط ، بل وعلى دينهم وقيمهم الفكرية ولا أدل من أن أكثر الدوا الاسلامية قد عطلت العمل بركن من أهم أركان الاسلام وهو الزكاة ، وألغت العمل بالأحكام الجنائية المنصوصة في القرآن واستبدلتها بالقوانين الجنائية الغربية.

فالاسلام بهذا الاعتبار قد تعرض لأشد الأخطار التي نالت من حرمته ومكانته في العالم بسبب ضعف المسلمين المتمسكين به ، ولن يعود الاسلام إلى سابق عزه إلا إذا عاد المسلمون لصولتهم ، ولن يعود المسلمون إلى هذه الصولة إلا إذا قهروا الاستعمار ، ولن يقهروا الاستعمار إلا إذا أصبحوا أقوياء.

فالمسألة الدينية الخطيرة التي يجب أت تكون فوق جميع المسائل وأولاها بالتقدير والاعتبار عند جميع المسلمين اليوم هي هذه : كيف نصبح أقوياء ؟ وكل دفاع عن الاسلام لا يعنى فيه بجانب تقوية المسلمين هو فراغ وملهاة ومضيعة للوقت .

وإذ قد تبث لنا أن تعليم المرأة المسلمة يرفع من شأنها ويقيها غوائل الفقر والشقاء ويجعل منها أما صالحة ، وعضوا في العائلة الاسلامية نافعة ، ويشد بها أزر أخيها المسلم ويكون منها قوة روحية ، وقوة مالية ، وقوة اجتماعية ، إذا تبث لنا كل هذا بالإضافة إلى أن تعليم المرأة قد أوجبه الاسلام أيضا لم يعد هناك أدنى مجال للتردد في تعليمها أو التخوف مما قد يؤدي إليه من انتهاك بعض المحرمات.

ليت شعري أيهما أخطر على الاسلام وادعى لاستثارة الغيرة عليه أهو سفور المرأة المسلمة المتعلمة المهذبة العاملة على تدعيم الحياة الاجتماعية ورفع مستواها ؟ أم هل إلغاء العمل بأهم ركن من أركان الاسلام في الناحية الاقتصادية وهو الزكاة وتعطيل الأحكام الجنائية وهي ميزان العدالة القديم ؟. وأيهما أفضل : أن تصبح المرأة المغربية سيدة متعلمة مهذبة ذات كيان وشخصية محترمة ولكنها مع ذلك سافرة ، أو أن تبقى خادمة وضيعة تتقاذفها أيدي الأجانب ؟ و أسيرة دليلة تجهل كل شيء من حقوق وواجبات المراة ولكنها مع ذلك محجبة .

إذن فلماذا يظهرون غيرتهم على الاسلام في مسألة تعليم المرأة خوفا من أن تسفر وتتبرج ثم لا يحركون ساكنا عندما يطعن الاسلام أشد الطعنات ، فيقع تعطيل أحكامه ويلغى العمل ببعض أركانه ، وتجري عملية القضاء على كيانه ومقوماته المعنوية في هدوء ونظام ؟ . يجب أن يكون المسلون أقوياء في نظر الاسلام . والمرأة المتعلمة تكسب أمتها قوة فكري وقوة اقتصادية وقوة اجتماعية إذ تصبح عضوا ايجابيا في المجتمع كالرجل ، والاسلام اليوم في أشد الحاجة إلى كسب هذه القوى مجتمعة ، فليفهم هذا أدعياء الغيرة على الاسلام وليمسكوا عليهم سخافاتهم .